

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فِي الْآخِرَةِ

مِنْ حِينَ قَبْضٍ أَرْوَاحُهُمْ إِلَى دُخُولِهِمُ الْجَنَّةَ



إِعْدَادُ
لَا يُجَزِّ الْمُنْطَارُ وَلَا يُمَرِّ الْمَنَادِي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كثيراً.

أَمَّا بَعْدُ:

السعادة في الإيمان والعمل الصالح

فإنَّ الله تعالى جعل السعادة في طاعته والإيمان به، وجعل الشقاء في معصيته والإعراض عنه، وكلما كان العبد مُنقاداً لله تعالى محبةً وتعظيمًا وإجلالاً؛ قوي إيمانه، وحصل له من اللذة والسعادة وطيب العيش في الدنيا والآخرة ما الله به عليم، كما قال تعالى:

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [١].

وكلما كان العبد مُعرضًا عن الله تعالى، مُقبلًا على معصيته، مُستخفًا بنظر الله إليه، واطلاعه عليه؛ ضعف إيمانه، وحصل له في هذه الدار من ضيق الصدر، ونكد العيش، وكثرة الخوف، وشدة الحرث والتعب على الدنيا، والتحسر على فواتها -مع ما له في الآخرة من العذاب والهوان بحسب إعراضه- ما لا يعلم إلا الله، كما قال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكَانَخْرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [٢].

وهذا النعيم -الذي يتقلب فيه من جمع بين الإيمان والعمل الصالح- جنة مُعجلة له في الدنيا قبل جنة الآخرة، وهو ما بين الجنتين في نعيم وسرور؛ بما حصله من العلم النافع والعمل الصالح.

[١] النحل: ٩٧.

[٢] طه: ١٢٤.

[٣] انظر: مدارج السالكين في منازل السائرين لابن القيم (٣٩/٢)، الداء والدواء له (ص ٢٧٨-٢٨٠).

قال الإمام ابن القيم رحمة الله: «وسائل اللذات تُبطل بمفارقة الروح البدن، إلّا لذة العلم والإيمان، فإنّها تكمل بعد المفارقة؛ لأنّ البدن وشواغله كان ينقصها ويقللّها ويحجّبها، فإذا انطوت الروح عن البدن التذّلت لذة كاملةً بما حصلتْه من العلم النافع والعمل الصالح؛ فمن طلب اللذة العظمى، وأثر النعيم المقيم، فهو في العلم والإيمان اللذين بهما كمال سعادة الإنسان»^[٤].

فيما من سأله عن السعداء الذين امثّلوا أوصيام الله تعالى، واجتنبوا محارمه، وصبروا على ذلك في الدنيا، ما حالهم في الآخرة؟

وما جزاؤهم الذي نالوه بسبب أعمالهم الحسنة، وأقوالهم المستحسنة؟

حال السعداء عند الاحضار

أما حال السعداء -أهل الطاعة والإيمان- عند الاحضار: فتحييهم الملائكة تحية خاصة عند الموت، كما قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ تَوَفَّهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾^[٥]، أي: التحية الكاملة حاصلة

لهم، وقد سلمتم من كل ما تكرهون»^[٦].

ويؤمنونهم من الفزع في هذه اللحظات العصيبة قائلين لهم: لا تخافوا مما ستقدمون عليه بعد الموت، ولا تحزنوا على ما

خلفتم وراءكم؛ من الأهل، والأولاد، والأموال، وأمور الدنيا، ثم يبشرونهم بالجنة، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ أَسْتَقْمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَابْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾^{[٧][٨]}.

عند ذلك لا شيء أحب للمؤمن من لقاء الله تعالى وما يستقبله

[٤] مفتاح دار السعادة لابن القيم (٤٠٠ / ١).

[٥] النحل: ٣٢.

[٦] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي (ص ٥٠٩) باختصار.

[٧] فصلت: ٣٠.

[٨] انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦ / ٢٣٢).

بعد الموت؛ من المنزلة والكرامة عنده سبحانه، كما قال النبي ﷺ: «...لَكِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا حَضَرَهُ الْمَوْتُ بُشِّرَ بِرِضْوَانِ اللَّهِ وَكَرَامَتِهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَّا مَامَهُ، فَأَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ، وَأَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ»^[٩].

وفي حديث آخر قال عليه الصلاة والسلام: «الْمَيِّتُ تَحْضُرُهُ الْمَلَائِكَةُ، فَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ صَالِحًا، قَالُوا: اخْرُجِي أَيْتَهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ، كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الطَّيِّبِ، اخْرُجِي حَمِيدَةً، وَأَبْشِرِي بِرَوْحٍ وَرَيْحَانٍ، وَرَبٌّ غَيْرٌ غَضِيبًا، فَلَا يَزَالُ يُقَالُ لَهَا ذَلِكَ حَتَّى تَخْرُجَ»^[١٠].

وبمثل هذا الجزاء الطيب يجزي الله أهل خشيته وتقواه، الذين قالوا: ربنا الله ثم استقاموا، تقبض الملائكة أرواحهم وقلوبهم طاهرة، قائلين لهم: سلام عليكم، تحية خاصة لكم، وسلمتم من كل آفة، فلا تخافوا من الموت وما بعده، وادخلوا الجنة بما كنتم تعملون من الإيمان بالله والانقياد لأمره^[١١].

حال السعداء في القبر

وأما حال السعداء في القبر: فقد جاء وصف حالهم في حديث البراء بن عازب رضي الله عنه الطويل في فتنة القبر، وفيه أن النبي ﷺ قال عن العبد المؤمن -بعد تثبيت الله له عند سؤال الملائkin-: «...فَيُنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ: أَنْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِبِّهَا، وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ، حَسَنُ الثِّيَابِ، طَيِّبُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسْرُكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالْخَيْرِ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ، فَيَقُولُ: رَبٌّ أَقِمِ

[٩] رواه البخاري معلقاً بصيغة الجزم (٥٧٩/٢) واللفظ له، ووصله مسلم (٢٦٨٤) بنحوه وغيره.

[١٠] رواه ابن ماجه (٤٢٦٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (١٩٦٨).

[١١] انظر: التفسير الميسر لنخبة من العلماء (ص ٢٧٠) و(ص ٤٨٠).

السَّاعَةَ؛ حَتَّى أَرْجَعَ إِلَى أَهْلِي وَمَالِي»^[١٢].

وفي حديث آخر قال عَلَيْهِ الْصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «... ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا فِي سَبْعِينَ، ثُمَّ يُنَورُ لَهُ فِيهِ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: نَمْ، فَيَقُولُ: أَرْجَعُ إِلَى أَهْلِي فَأُخْبِرُهُمْ؟ فَيَقُولُونَ: نَمْ كَنْوَمَةُ الْعَرْوَسِ الَّذِي لَا يُوقَظُ إِلَّا أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ»^[١٣].

فتتأمل هذا النَّعيم العظيم للعبد المؤمن في قبره، وهذه البشارة الكريمة له بالخير والسرور، حتى إنَّه ليدعوه ربَّه أنْ يُقيِّم الساعات استعجالاً للعودة إلى أهله وماله في الجنة.

حال السعداء في عَرَصَاتِ يوم القيمة

وأمَّا حال السعداء في عَرَصَاتِ يوم القيمة: فإنَّهم يأتون آمنين مُطْمَئِنِين، لا يُخيفهم الفزع الأَكْبَرُ والهُولُ العظيم، كما قال الله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِيَءَمِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾^[١٤]، أي: «آمِنًا من عذاب الله، مُسْتَحْقًا لثوابه؛ لِإِيمانه به، وتصديقه بآياته»^[١٥].

وتُبَشِّرُهم الملائكة بما أَمَّا مِنْهُمْ؛ من الكرامة والفرح والسرور إذا بُعثوا من قبورهم، كما قال سبحانه: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَنَذَاقُهُمُ الْمَلَئِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾^[١٦] [١٧] .

[١٢] رواه أحمد (١٨٥٣٤)، وصححه ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية (ص ١٤٣)، والألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٥٥٨).

[١٣] رواه الترمذى (١٠٧١) وقال: «حديث حسن غريب»، وحسنَه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٥٦٠).

[١٤] (عَرَصَات): العَرَصَاتُ: جمع عَرْصَةٍ، وهي كل موضع واسع لا بناء فيه. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٢٠٨/٣).

[١٥] فصلت: ٤٠.

[١٦] التفسير الميسَّر لنخبة من العلماء (ص ٤٨١).

[١٧] الأنبياء: ١٠٣.

[١٨] انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي (ص ٦٢٠).

وأهل السعادة يوم القيمة: «تَبَيَّضَ وجوهُهُمْ بِنَصْرَةِ النَّعِيمِ، وَمَا بُشِّرُوا بِهِ مِنَ الْخَيْرِ، فَمَا لَهُمْ جَنَّةُ اللَّهِ وَنَعِيمُهَا، وَهُمْ بِاَقْوَانِ فِيهَا، لَا يَخْرُجُونَ مِنْهَا أَبَدًا»^[١٩]، كما قال الله تعالى: ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ أَبَيَّضُتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَلِدُونَ ﴾^[٢٠]

ومع هذا البياض تكون وجوههم مُشرقةً حَسَنَةً ناعمةً بَهِيَّةً، لها رَوْنقٌ ونور؛ ممَّا هُمْ فِيهِ مِنْ نَعِيمِ الْقُلُوبِ، وَبِهُجَّةِ النُّفُوسِ، وَلَذَّةِ الْأَرْوَاحِ؛ فَالنَّصْرَةُ فِي وِجُوهِهِمْ، وَالسُّرُورُ فِي قُلُوبِهِمْ، كما قال تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ تَأْسِرَةٌ ﴾^[٢١]، وقال سُبْحَانَهُ: ﴿ وَلَقَّهُمْ نَصْرَةٌ وَسُرُورًا ﴾^[٢٢]

بل إنَّهُمْ لَيَضْحَكُونَ فِي هَذَا الْيَوْمِ الْعَصِيبِ الشَّدِيدِ، كما قال

تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ ضَاحِكَةٌ مُسْتَبِشَرَةٌ ﴾^[٢٤]، «أي: مُسْتَبِشَرَةٌ وَمُسْرُورَةٌ فَرِحةٌ مِنْ سُرُورِ قُلُوبِهِمْ، قَدْ ظَهَرَ الْبِشْرُ عَلَى وِجُوهِهِمْ»^[٢٥].

والسعادة يوم القيمة: يُعْطِيهِمُ اللَّهُ تَعَالَى نُورًا يُضِيءُ لَهُمُ الطَّرِيقَ، بَعْدَ أَنْ ذَهَبَ ضُوءُ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَصَارَ النَّاسُ فِي الظُّلْمَةِ، كما قال الله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ ﴾^[٢٦].

وَيُبَشِّرونَ عِنْدَ ذَلِكَ بِأَعْظَمِ بُشْرَى، فَيُقَالُ لَهُمْ: ﴿ بُشِّرَنَّكُمْ أَيْمَانُكُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْنِهَا الْأَنْهَرُ خَلِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾^[٢٧].

[١٩] التفسير الميسر لنخبة من العلماء (ص ٦٣) بتصرف يسير.

[٢٠] آل عمران: ١٠٧.

[٢١] القيمة: ٢٢.

[٢٢] الإنسان: ١١.

[٢٣] انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦٦٩/٣)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي (ص ١٠٦١).

[٢٤] عبس: ٣٨-٣٩.

[٢٥] تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٥٧/٧) بتصرف يسير.

[٢٦] الحديد: ١٢.

[٢٧] الحديد: ١٢.

«فلله ما أحلى هذه البشرة بقلوبهم، وألذها لنفوسهم، حيث حصل لهم كل مطلوب محبوب، ونجوا من كل شر ومرهوب»^[٢٨].

وأهل السعادة يوم القيمة: يأخذون كُتب أعمالهم باليمين، ويكون حسابهم سهلاً يسيراً بلا تعسir؛ فيرجعون إلى أهليهم في الجنة مسرورين مغبظين بما أعطاهم الله تعالى، كما قال سبحانه:

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَبَهُ بِيمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾

[٣٠][٢٩]

بل من شدّة سعادتهم يقول أحدهم لكل من لقيه: «دونكم كتابي فاقرؤوه، فإنه يُبشر بالجنتات، وأنواع الكرامات، ومغفرة الذنب، وستر العيوب، والذي أوصَلني إلى هذه الحال، ما منَ الله به علىَّ من الإيمان بالبعث والحساب، والاستعداد له بالممكن من العمل»^[٣١]، كما قال تعالى: **﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَبَهُ بِيمِينِهِ فَيَقُولُ هَاوُمُ أَفْرَءُوا كِتَبِي﴾**

[٣٢]

إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلِقٌ حِسَابِيَّةَ

[٣٣]

«أي: كنتُ موقناً في الدنيا أنَّ هذا اليوم كائن لا محالة».

فهؤلاء **﴿فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾**

[٣٤]

«أي: في جنة عالِكَةَ

أهل السعادة ملوك الآخرة

وبعد هذا، فإنَّ السعادة في الجنة لهم أطيب حياة وأنعم عيش،

[٢٨] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي (ص ٩٩٠).

[٢٩] الانشقاق: ٩-٧.

[٣٠] انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٨٦ / ٤٨٧).

[٣١] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي (ص ١٠٤٢).

[٣٢] الحاقة: ٢٠ - ١٩.

[٣٣] تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٥١ / ٧).

[٣٤] الحاقة: ٢٢ - ٢١.

[٣٥] تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٥١ / ٧).

فهم سالمون فيها من الموت، والأسقام، والأحزان، والآلام، قال الله تعالى: ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^[٣٦]، فسمى الله جنته «دار السلام» لسلامتها من كل عيب وآفة وكدر، وهم وغم، وغير ذلك من المنغصات»^[٣٧].

«وكيف يقدر قدر دار غرسها الله بيده، وجعلها مقرًا لأحبابه، وملأها من كرامته ورحمته ورضوانه، ووصف نعيمها بالفوز العظيم، وملكها بالملك الكبير، وأودعها جميع الخير بحذافيره، وظهرها من كل عيب وآفة ونقص»^[٣٨].

يقول النبي ﷺ: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذْنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ». ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أَخْفَى لَهُمْ مِنْ قُرْةَ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^[٤٠]

فأهل السعادة هم ملوك الآخرة؛ فإن الله تعالى لم يخلق الجنة قال لها: «تَكَلَّمِي، فَقَالَتْ: قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ، فَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: طُوبَى لَكِ مَنْزِلُ الْمُلُوكِ»^[٤١].

دخول السعداء الجنة

وقد وصف النبي ﷺ دخول أهل الجنة للجنة فقال: «إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، وَالَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَى أَشَدِّ كَوْكِبِ دُرُّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً...»^[٤٢].

[٣٦] الأنعام: ١٢٧.

[٣٧] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي (ص ٣٥٥).

[٣٨] حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن القيم (٥٩٧/٢).

[٣٩] السجدة: ١٧.

[٤٠] رواه البخاري (٤٧٨٠)، ومسلم (٢٨٢٤).

[٤١] رواه البزار كما في كشف الأستار (٣٥٠٨)، والطبراني في معجمه الأوسط (٣٧٠١) واللفظ له، وصححه ابن القيم موقوفاً في حادي الأرواح (٥٩٢/١)، وقال الألباني: «صحيح على شرط مسلم موقوفاً، لكنه في حكم المرفوع». انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢٦٦٢).

[٤٢] رواه البخاري (٣٣٢٧)، ومسلم (٢٨٣٤) واللفظ له.

فَإِذَا أَخْذُوا مَنَازِلَهُمْ؛ نادَى مَنَادٍ فِيهِمْ: «إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصْحِحُوا فَلَا تَسْقَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيِوْا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشْبُوا فَلَا تَهْرُمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلَا تَبْتَسِسُوا أَبَدًا». فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّوجَلَّ: ﴿وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ

تَعْمَلُونَ﴾ [٤٣][٤٤].



خدمهم وأزواجهم ورفقتهم في الجنة

وَخَدْمَهُمْ فِي الْجَنَّةِ وِلْدَانٌ مُخْلَدُونَ ﴿كَانُوكُمْ لَوْلُؤُ مَكْنُونُ﴾ [٤٥]،
وَأَزْوَاجُهُمُ الْحُورُ الْعَيْنُ ﴿كَانُوكُنَّ أَلْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ [٤٦]،
وَرَفِيقَهُمْ فِيهَا كُلُّ طَيِّبٍ؛ وَذَلِكَ أَنَّهَا دَارُ الطَّيِّبِينَ، فَلَا يَدْخُلُهَا إِلَّا
طَيِّبٌ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَمٌ عَلَيَّكُمْ طَيِّبُمْ
فَادْخُلُوهَا خَلِدِينَ﴾ [٤٧]، وَقَالَ سَبَحَانَهُ: ﴿وَمَنْ يُطِعَ اللَّهَ
وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّنَ وَالصَّدِيقِينَ
وَالشَّهِداءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [٤٨].

قال الحافظ ابن كثير رَحْمَةُ اللَّهِ: «أي: مَنْ عَمِلَ بِمَا أَمْرَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَتَرَكَ مَا نَهَا اللَّهُ عَنْهُ وَرَسُولُهُ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّوجَلَّ يُسْكِنُهُ دَارَ كَرَامَتِهِ، وَيَجْعَلُهُ مَرْافِقًا لِلْأَنْبِيَاءِ ثُمَّ لِمَنْ بَعْدَهُمْ فِي الرُّتْبَةِ، وَهُمُ الصَّدِيقُونَ، ثُمَّ الشَّهِداءِ، ثُمَّ عُمُومُ الْمُؤْمِنِينَ وَهُمُ الصَّالِحُونَ الَّذِينَ صَلَحْتُ سَرَائِرَهُمْ وَعَلَانِيَتَهُمْ، ثُمَّ أَثْنَى عَلَيْهِمْ تَعَالَى فَقَالَ: ﴿وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [٤٩].

أعظم نعيم الجنة

وأعظم نعيم للسعداء في الجنة: رؤية الرب سُبْحَانَهُ، كما تواترت

[٤٣] الأعراف: ٤٣.

[٤٤] رواه مسلم (٢٨٣٧).

[٤٥] الطور: ٢٤.

[٤٦] الرحمن: ٥٨.

[٤٧] الزمر: ٧٣.

[٤٨] النساء: ٦٩.

[٤٩] تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٥٠/٢).

بذلك الأخبار، وصحَّت الآثار، قال الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ
إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [٥١] .

ويدل لهذا التفسير قول النبي ﷺ: «إذا دخل أهل الجنة، يقول الله تبارك وتعالى: تُريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تُبيِّضْ وُجوهنا؟ ألم تُدخلنا الجنة، وتُنجِّنا من النار؟ قال: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئاً أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظرِ إِلَى
رَبِّهِمْ عَزَّوَجَلَ» [٥٢] .

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله بعد أن ساق عدداً من أحاديث الرؤية: «ففي هذه الأحاديث: أن المؤمنين ينظرون إلى ربهم عزوجل في العرَصات، وفي روضات الجنَّات... وهذا بحمد الله مجمع عليه بين الصحابة والتابعين وسلف هذه الأُمَّة، كما هو متَّفق عليه بين أئمة الإسلام، وهُداة الأنام» [٥٣] .

وختاماً: من أراد أن يكون من أهل السعادة الذين لهم الحياة الطيبة المطمئنة، والراحة والسكينة في الدنيا، ولهم كذلك الأجر العظيم والفوز الكريم في الآخرة؛ فعليه بالإيمان والعمل الصالح، فإنه ينال -بإذن الله تعالى- أطيب الحياتين، وأحسن السعادتين في الدنيا والآخرة، كما قال سبحانه: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا
حَسَنَةٌ وَلَدَأْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ [٥٤] .

والحمد لله رب العالمين.

وصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.



[٥٠] القيامة: ٢٣-٢٢.

[٥١] رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٧٩٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

[٥٢] رواه مسلم (١٨١).

[٥٣] تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤١٣-٤١٢/٧) باختصار.

[٥٤] النحل: ٣٠.